﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾ [النمل: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

جـواب الملأ مِـنْ قومِ بِلْقيسَ بعدَ استشارتِها لهُم

لمّا استشارَتْ بِلْقيسُ الملأَ مِنْ قومِها في شأنِ كتابِ سليمانَ عليه السلام، استعطافًا لهم وتكريمًا؛ ليمالِئوها في الرد على كتاب سليمان، كأنَّهُ قيلَ: فماذا قالوا في جوابِها؟ فقيلَ: قالوا: ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قُوَّةٖ﴾: (قوي) أَصْلانِ مُتَباينانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُما عَلَى شِدَّةٍ وخِلافِ ضَعْفٍ، والآخَرُ عَلَى خِلافِ هَذا وعَلَى قِلَّةِ خَيْرٍ[2]. والقوَّةُ: ضدُّ الضَّعفِ[3]، وتُستعمَلُ تارةً في معنى القُدرةِ، كقولِه تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: 63]، وتارةً للتَّهيُّؤِ الموجودِ في الشَّيءِ، كقولِكَ: النَّوَى بالقوَّةِ نَخْلٌ، أي: مُتهيِّئٌ أنْ يكونَ منهُ ذلكَ، وتُستعمَلُ القوَّةُ في البدنِ تارةً، وفي القلبِ أخرى، وفي المُعاوِنِ مِنْ خارجٍ تارةً، وفي القُدرةِ الإلهيَّةِ تارةً[4]، والمرادُ بالقوَّةِ في الآيةِ: وسائلُ القدرةِ على القتالِ والغلَبةِ، وكثرةُ القادرينَ على القتالِ والعارفينَ بأساليبِه[5].

2) ﴿بَأۡسٖ﴾: (بأس) أَصْلٌ واحِدٌ بمعنى الشِّدَّة وما ضارَعَها[6]، فالبُؤْسُ والبأسُ والبأساءُ: الشِّدَّةُ والمكروهُ، وقيلَ: البُؤْسُ في الفَقْرِ والحربِ أكثرُ، والبأسُ والبأساءُ في النِّكايةِ أكثرُ، كقولِه تعالى:

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 284، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 159.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوي).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (قوي).
(4) الراغب، المفردات: (قوي).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 264.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بأس).

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء: 84]، وقولِه: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام: 42]، وقولِه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [البقرة: 177]، وقالَ ﷺ: ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ﴾ [الحشر: 14][1]، والبأسُ في الآيةِ: الشِّدَّةُ على العدوِّ في مواقعِ القتالِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـفـويـضُ المـلأِ الأمرَ لبِلْقيسَ

قالَ الملأُ مِنْ قومِ مَلِكةِ سبأٍ إذْ شاورَتْهم في أمرِها وأمرِ سليمانَ عليه السلام: نحنُ ذَوو القوَّةِ على القتالِ، وذَوو البأسِ الشَّديدِ في الحربِ، والأمرُ - أيَّتُها المَلِكةُ - إليكِ في القتالِ وتركِه، فانظُري مِنَ الرَّأيِ ما تَرَيْنَ، فمُرينا؛ نأتَمِرْ لأمرِكِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

الـفـصـلُ لـشِـبْـهِ كمالِ الاتِّصالِ

فُصِلَتْ جملةُ: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ عمّا قبلَها؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ هذهِ الجملةَ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ مِنْ حكايةِ قولِها، كأنَّهُ قيلَ: فماذا قالوا في جوابِها؟ فقيلَ: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ الآيةَ[4]، والفصلُ جارٍ على طريقةِ المُحاوَراتِ[5].

المرادُ بالضَّميرِ ﴿نَحۡنُ﴾:

جـمـاعـةُ المـملكةِ مِنْ أهلِ الحربِ

أرادَ الملأُ مِنْ قولِهم: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ جماعةَ المملكةِ الَّذينَ هم مِنْ أهلِ الحربِ، فهو مِنْ إخبارِ عُرَفاءِ القومِ عن حالِ جماعاتِهم ومَنْ يُفوَّضُ أمرُهم إليهِم[6].

---

(1) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (بأس).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 264.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 453.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 284، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 192.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 264.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 264.

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿أُوْلُواْ﴾ دونَ (ذوو) و(أصحاب):

شأنُ الملأِ القوَّةُ في الحربِ، والبأسُ الشَّديدُ

أوثِرَ التَّعبيرُ بـ ﴿أُوْلُواْ﴾؛ لاختصاصِهِ بإضافةِ الأشياءِ المعنويَّةِ إليهِ، كالألبابِ، والعِلمِ، والقُربَى، والأرحامِ، والقوَّةِ والبأسِ الشَّديدِ هنا، بخلافِ (ذوو)؛ فإنَّهُ أعمُّ استعمالًا، وأمّا (أصحاب)؛ فيضافُ إلى الأشياءِ المادّيَّةِ، كأصحابِ مدينَ، والحِجْرِ، والكهفِ، والسَّفينةِ، ويُستعملُ حينَ يكونُ المضافُ إليهِ مُنفصلًا عن المضافِ، كأصحابِ الأُخدودِ، وأصحابِ القريةِ، وأمّا ﴿أُوْلُواْ﴾؛ فيدلُّ على شدَّةِ المصاحبةِ، فـ ﴿أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، أي: مَنْ كانَ شأنُهُ ذلكَ؛ لملازمتِهِ إيّاهُ، واتِّصافِهِ بهِ.

بلاغةُ الكنايةِ في قولِهِ: ﴿قُوَّةٍ﴾:

ما لا تتمُّ القوَّةُ إلّا بهِ فهو من القوَّةِ

حقيقةُ القوَّةِ: حالةٌ في الجسمِ يتأتَّى لهُ بها أنْ يعملَ ما يشقُّ عملُهُ في المعتادِ، فتكونُ في الأعضاءِ الظّاهرةِ، كقوَّةِ اليدينِ على الصُّنعِ الشَّديدِ، والرِّجلينِ على المَشْيِ الطَّويلِ، والعينينِ على النَّظرِ للمرئيّاتِ الدَّقيقةِ، وتكونُ في الأعضاءِ الباطنةِ، كقوَّةِ الدِّماغِ على التَّفكيرِ الَّذي لا يستطيعُهُ غالبُ النّاسِ، وعلى حفظِ ما يَعْجِزُ عن حفظِهِ غالبُ النّاسِ.

ولمّا كانَ مِنْ لوازمِ القوَّةِ أنَّ قُدرةَ صاحبِها على عملِ ما يريدُهُ أشدُّ ممّا هو المعتادُ، والأعمالُ عليهِ أيسرُ؛ شاعَ إطلاقُها على الوسائلِ الَّتي يستعينُ بها على تذليلِ المصاعبِ، كالسِّلاحِ، والعَتادِ، والمالِ، والجاهِ، وهو إطلاقٌ كِنائيٌّ[1].

علَّةُ تنكيرِ ﴿قُوَّةٍ﴾:

تنوُّعُ صورِ القوَّةِ، وتعظيمُ شأنِها

تنكيرُ لفظِ ﴿قُوَّةٍ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾؛ لتعدُّدِ محاملِهِ، فقد يُرادُ بهِ قوَّةُ الأجسادِ، وقد يُرادُ بهِ قوَّةُ الآلاتِ والعُدَدِ[2]،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 99.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 364، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 555.

والأولى قوَّةٌ ذاتيَّةٌ، والثّانيةُ قوَّةٌ عَرَضيَّةٌ[1]، ويحتملُ التَّنكيرُ أن يكونَ للتَّعظيمِ؛ لأنَّ المقامَ مقامُ اعتدادٍ منهُم بما لهُم مِنَ القوَّةِ والبأسِ.

دلالةُ العطفِ في ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ﴾:

الجمعُ بينَ القوَّةِ وبينَ البأسِ والثِّقةِ بالنَّفسِ

الواوُ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ للعطفِ، وهي تفيدُ أنَّهم اعتدّوا بقوَّتِهم، واعتدّوا ببأسِهم الشَّديدِ، وفي ذلكَ ثقةٌ عاليةٌ منهُم بأنفسِهم وإمكاناتِهم؛ فضلًا عن الرَّغبةِ الشَّديدةِ في الدِّفاعِ عن مَلِكتِهم ومملكتِهم.

سرُّ تكرارِ ﴿أُوْلُواْ﴾:

المبالغةُ في الاعتدادِ ببأسِهم الشَّديدِ

كُرِّرَ ﴿أُوْلُواْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، ولم يقل: (نحنُ أولو قوَّةٍ وبأسٍ شديدٍ)؛ للمبالغةِ في الاعتدادِ بما لهُم مِنَ القوَّةِ، ومِنَ البأسِ الشَّديدِ، وتأكيدِ أنَّهم مُتَّصِفونَ بكلٍّ منهما.

علَّةُ تنكيرِ ﴿بَأْسٍ﴾ ووصفه بالشِّدَّة:

بأسُهم عظيمُ الشَّأنِ

تنكيرُ ﴿بَأْسٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ، ووُصِفَ البأسُ بالشِّدَّةِ لأنَّ البأسَ عندَ إطلاقِهِ قد ينصرفُ إلى أدنى درجاتِ البأسِ، فبالَغوا في وصفِهِ؛ لإظهارِ كمالِ اقتدارِهم على الحربِ.

بلاغةُ التَّعريضِ في اختيار لفظ ﴿قُوَّةٍ﴾ و﴿بَأْسٍ﴾:

التَّعريضُ بأنَّهم يميلونَ إلى الدَّفعِ بالقوَّةِ

قولُ الملأِ: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ تصريحٌ بأنَّهم مُستعِدّونَ للحربِ للدِّفاعِ عن مُلْكِهم، وتعريضٌ بأنَّهم يميلونَ إلى الدَّفعِ بالقوَّةِ إنْ أرادَ سليمانُ عليه السلام أنْ يُكرِهَهم على الدُّخولِ تحتَ طاعتِهِ؛ لأنَّهم حَمَلوا ما تضمَّنَهُ كتابُهُ على ما قد يُفضي إلى هذا[2].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 384.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 264.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾:

الطاعةُ مِنْ وجوهِ القوَّةِ واجتماعِ الكلمة

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾؛ للعطفِ، وهي تُفيدُ دخولَ هذهِ الجملةِ في حيِّزِ مَقولِ الملأِ، فيكونونَ قد جمعوا بينَ إظهارِ قوَّتِهم وشدَّةِ بأسِهم، واستعدادِهم للقتالِ، وبينَ إظهارِ شدَّةِ طاعتِهم لملكتِهم.

نوعُ التَّعريف في لفظ: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾:

تسليمُ الأمرِ كلِّه لبلقيس من تمام طاعتهم لها

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾؛ للجنسِ، أي: جميعُ الأمرِ مُفوَّضٌ إليكِ، وهذا الأمرُ أيضًا موكولٌ إليكِ، وجوِّزَ أنْ يكونَ التَّعريفُ للعهدِ، والمرادُ: أمرُ الانضواءِ تحتَ مُلْكِ سليمانَ عليه السلام، وضعَّفَهُ القونويُّ[1].

بلاغةُ القصرِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾:

لا ينفُذُ أمرٌ دونَ موافقةِ بِلْقيسَ

﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ مبتدأٌ، و﴿إِلَيْكِ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ وقعَ خبرًا لهُ، ويُقدَّرُ مُؤخَّرًا؛ ليُفيدَ الحصرَ المقصودَ؛ لفَهْمِهِ مِنَ السّياقِ، أي: والأمرُ إليكَ موكولٌ[2]، أي: والأمرُ إليكَ لا إلى غيرِكَ موكولٌ[3].

معنى الفاءِ في ﴿فَٱنظُرِى﴾:

مآلُ التَّنفيذِ اتِّخاذُ القرارِ

الفاءُ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾؛ لترتيبِ ما بعدَها على ما قبلَها، أي: إذا كانَ الأمرُ إليكِ؛ فانظُري ماذا تأمرينَ[4].

دلالةُ الاستفهامِ في ﴿مَاذَا﴾:

تشوُّقُ الملأِ لمعرفةِ قرارِ بِلْقيسَ

﴿مَاذَا﴾ في قولِهِ جلَّ سلطانُهُ: ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ هو المفعولُ الثّاني لـ ﴿تَأْمُرِينَ﴾، والأوَّلُ محذوفٌ، تقديرُهُ: تأمُرينَنا، والاستفهامُ مُعلِّقٌ لفعلِ ﴿فَٱنظُرِى﴾[5]، وفي هذا الاستفهامِ تشوُّقٌ مِنَ الملأِ لمعرفةِ القرارِ والجوابِ، الَّذي ستُجيبُ بهِ بِلْقيسُ سليمانَ عليه السلام.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 384.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 44، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 192.
(3) أطفيش، تفسير أطفيش: 7/ 293.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5452.
(5) السمين، الدر المصون: 8/ 611، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 265.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿تَأْمُرِينَ﴾:

قرارُ بِلْقيسَ أمرٌ مستقبليٌّ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷺ: ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾؛ لأنَّ الأمرَ الصّادرَ مِنْ بِلْقيسَ يقعُ في المستقبلِ بالنِّسبةِ لزمنِ محاورةِ الملأِ لها، وصيغةُ المضارعِ تدلُّ على الاستقبالِ.

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿تَأْمُرِينَ﴾:

الإيجاز لإظهارِ شدَّةِ الطّاعةِ لبِلْقيسَ

في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ إيجازٌ بالحذفِ، وذلكَ بحذفِ مفعولِ ﴿تَأْمُرِينَ﴾ ومُتعلِّقِهِ؛ لظُهورِهما مِنَ المقامِ، والتَّقديرُ: (ما تأمرينَنا بهِ)[1]، وفي هذا الإيجازِ بيانُ الملأِ شدَّةَ طاعتِهم لمَلِكتِهم؛ إذ أوامرُها إنَّما تكونُ موجَّهةً لهُم، فاستغنَوا عن ذكرِ الضَّميرِ الرّاجعِ إليهِم، وتترتَّبُ على هذا الحذفِ أيضًا مراعاةُ تلاؤمِ الفواصلِ.

وقولُ الملأِ: ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ معناهُ: مُرينا بأمرِكِ؛ نُطِعْكِ، كأنَّهم أشاروا عليها بالقتالِ، أو المرادُ: نحنُ مِنْ أبناءِ الحربِ لا مِنْ أبناءِ الرَّأيِ والمَشورةِ، وأنتِ ذاتُ الرَّأيِ والتَّدبيرِ، فانظُري ماذا تَرَيْنَ؛ نتَّبِعْ رأيَكِ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القوَّةُ والقُدرةُ والبأسُ والشِّدَّةُ:

لفظا القوَّةِ والبأسِ أنسبُ بمقامِ التَّلويحِ بالقتالِ

القُدرةُ: كونُ الحيِّ بحيثُ إنْ شاءَ؛ فعلَ، وإنْ شاءَ؛ تركَ، والقوَّةُ: هي المعنى الَّذي يتمكَّنُ بهِ الحيُّ مِنْ مُزاوَلةِ الأفعالِ الشّاقَّةِ، والبأسُ: الشِّدَّةُ في الحربِ[3]، والشِّدَّةُ: القوَّةُ في الجسمِ[4]، وبناءً على ما سبقَ فإنَّ لفظَي القوَّةِ والبأسِ أنسبُ بسياقِ التَّلويحِ بالقتالِ والحربِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 265.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 364.
(3) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (بأس).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (شد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»